نهاية النفوذ السلجوقي في العراق

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني
قسم الدراسات التاريخية/المعهد العالي
للدراسات القومية والاشتراكية
(الجامعة المستنصرية)

في عهود ضعف الخلافة العباسية تعرض العراق لمشاكل داخلية ومخاطر خارجية ، من ابرزها الغزو البويهي لمدينة بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م وما رافقه من تدهور خطير في الوضع الحضاري والاقتصادي والاجتماعي في العراق عموما ، غير ان ضعف الدولة البويهية في المشرق رافقه تنامي قوة جديدة ، هي قوة قبائل الغزّ السلجوقية والذين اندفعوا سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م من سهول تركستان ، واخذوا يتطلعون لغزو العراق ، وتم لهم ذلك في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، ودخلوا بغداد عن طريق حلوان ، ويعلق المؤرخ البنداري على تحرك الجيش السلجوقي نحو العراق ، قائلا « ... فعزم على الحركة واندفع كالسيل ... ولم يترك الترك وردا الا شفهوه ، ولا حسنا الا شوهوه ، ولا نارا الا ارشوها ، ولا دارا الا شعثوها ، ولا عصمة الا رفعوها ، ولا وصمة إلا وضعوها ... فما جاؤوا الى بلدة الا ملكوا مالكها ، وملأوا مسالكها ، وارعبوا ساكنيها واسكنوها الرعب ، وغلبوا ولاتها وولوها الغلب ، وأزوروا الى الزور واشاعوا مد اليد بالغارة الشعواء »(١) .

وضع العراق في ظل الاحتلال السلجوقي :

سيطر السلاجقة على كافة مرافق الدولة ، وكانوا يتدخلون في نصب وخلع وزير الخليفة ، وصار الخلفاء يتسلمون رواتبهم وارزاقهم من السلاجقة، ووضعوا الجيش تحت تصرف واشراف نائبهم المدعو « العميد » ووضعوا الاشراف على الامن والنظام تحت اشراف « الشحنة » ، وفوض الى هؤلاء النواب امر ضبط الامن في العراق ، وارسال الاموال الى خزانة السلطان

السلجوقي الذي اخذ يشرف على ما يدخل الى بيت المال من الايرادات ، وفقدت الخلافة العباسية هيبتها(٢) ويمكن تصور وضع الخليفة المزري من رسالة السلطان السلجوقي ملكشاه الى الخليفة المقتدي بامر الله الذي يقول له فيها : « لابد ان تترك لي بغداد وتنصرف الى أي البلاد شئت ••• والتجأ الخليفة الى وزير السلطان ، وطلب منه ان يسأل سلطانه بتأجيل موعد خروجه من بغداد عشرة ايام ليتسنى له الاستعداد للانتقال ••• »(٣) •

وتنيجة للسياسة القاسية التي اتبعها السلاجقة في العراق والتي تمثلت في خلق وتغذية الانقسامات الاجتماعية والدينية في المجتمع العراقي ، ومما سهل عملهم ضعف سلطان الخليفة ، فكثرت المنازعات والانقسامات والفتن في العراق عامة وبغداد بصفة خاصة ، وشهدت الفترة من ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وحتى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م مايقارب من ست عشرة حادثة نزاع طائفي وبالاخص في بغداد(٤) ، وما رافق ذلك من عمليات قتل ، ونهب ، وسلب ، وحرائق كبيرة وتدهورت الاوضاع الاقتصادية الى حد لايطاق ، وقد سجلت لنا كتب التأريخ عشرة حوادث لغلاء الاسعار ، والقحط مابين سنتي ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م وسنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م(٥) ، ورافق ذلك انتشار الاوبئة والامراض التي انتشرت في العراق(٦) ، وبسبب فقدان الامن والنظام في العراق وما رافق ذلك من اهمال لمشاريع الزراعة والري ، فان العراق في هذه الفترة تعرض الى حوادث فيضانات مدمرة وبالاخص مدينة بغداد(٧) ، ومما زاد في صعوبة الوضع الاقتصادي في العراق ، تعرضه الى مواسم الجفاف وعدم سقوط الامطار ، في السنوات ٤٩٣ ، ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٤٣ هـ(٨) ، ولعل أروع صورة رسمها المؤرخ البنداري لوضع العراق وبغداد في ظل السلاجقة في وصفه الاتي عندما قال : « ••• وكانت السدة الشريفة قد منيت بجور الاعاجم ••• ولم تزل بغداد مظلمة مشحونة منهم بالشحن المظلمة •••

والدماء والفروج مستباحة مهدرة ، والخليفة ••• يقدر عليه ولا يقدر ، ويغدر به »(٩) •

دور الخليفة المقتفي لامر الله ، ووزيره ابن هبيرة الدوري في مجابهة السلاجقة :

لقد ظهر في هذه الفترة من تاريخ الخلافة العباسية رجلان كان لهما دورا مميزا في مجابهة السلاجقة ، وانهاء سيطرتهم وتغلبهم على مقدرات الخلافة العباسية ، وهذان الرجلان هما الخليفة المقتفي لامر الله العباسي الهاشمي ، ووزيره أبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني الدوري(١٠) •

ان بوادر الانتعاش السياسي العباسي قد ظهرت بداياته ـ وبصورة محدودة ـ في عهود الخلفاء الذين سبقوا عهد المقتفي لامر الله بوقت قصير ، وذلك في عهدي المقتدي الذي طرده السلاجقة من بغداد الى اصبهان ، ومات فيها غريبا سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م بأمر السلطان السلجوقي ملكشاه بن ارسلان، وقام الخليفة المسترشد بالله بمجابهة حركة ابي مضر العلوي بالمدائن(١١) ، وكان دبيس بن صدقة يتحالف مع اعداء الخلافة ، ولذلك قاد جيشا كبيرا لمحاصرة بغداد ، وهدد الخليفة بقوله : « والله لانقضن الدار حجرا حجرا ••• »(١٢) ، غير ان الخليفة هاجمه ، وحرر منه مدينة الحلة التي كان يتمركز فيها مع انصاره(١٣) ، وهرب دبيس الى الموصل ، وتحالف مع زنكي بن اقسنقر امير الموصل ، واعدوا جيشا قوامه اثنى عشر الفا لمهاجمة بغداد ، ودارت معركة عنيفة بالقرب من منطقة عقرقوف ـ غربي بغداد ـ انتهت بانتصار كبير لقوات الخلافة ، واندحار المعتدين عليها(١٤) •

اتجه المسترشد لتصفية حسابه مع السلاجقة ، فاتجه الى مدينة مراغة ، غير انه تعرض لاعتداء من طائفة غلاة الاسماعيليه ، فقاتلهم ببسالة قائلا : « شهيد والحمد لله »(١٥) ، وقتل ابنه الخليفة الراشد بالله على باب

اصفهان عندما اراد مجابهتهم ، اما بالنسبة للخليفة المقتفي لامر الله ، فان السلاجقة عندما بويع بالخلافة لم يبقوا له شيئا وذكر المؤرخ الكبير الذهبي بان السلاجقة : « أخذوا جميع ما في دار الخلافة عدا أربعة افراس » وفي رواية « انهم بايعوه على أن لا يكون عنده خيل ولا آلةسفر »(١٦) ، « وألا يشتري مملوكا تركيا »(١٧) •

في مثل هذا الوضع الصعب بدأ المقتفي عهده ، وقد اشاد بذكره المؤرخين فيروى أنه كان : « ••• شجاعا كامل السؤدد خليقا للخلافة قليل المثل »(١٨) ، و « ••• ولم ير مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة مثله من شهامته وصرامته »(١٩) ، وانه اقام حشمة الدولة العباسية وقطع عنها طمع السلاطين(٢٠) ، واعاد الى الخلافة هيبتها امام الاجانب وغيرهم(٢١) •

وكان الساعد الايمن للخليفة المقتفي ، وزيره أبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني الدوري ، « وكان وزيرا ذا رأي وعلم ودين وثبات في الامور »(٢٢)، وقال ابن دحية الكلبي « وصفت له الدنيا وسعد بوزيره ابن هبيرة »(٢٣) ، وكان سبب اتخاذ الخليفة له وزيرا لكون كفوءا في مجابهة السلاجقة عندما فرضوا حصارا على بغداد سنة ٥٤٣ هـ ، وكان حينذاك صاحب ديوان الزمام(٢٤) ، وظل في الوزارة من سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م حتى وفاته رحمه الله سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م(٢٥) ، وقد اشاد بذكره المؤرخون ، وقال عنه الخليفة المقتفي لامر الله ، والمستنجد بالله : « ماوزر لبني العباس كيحيى ابن هبيرة في جميع احواله ، وكان له في قمع الدولة السلجوقية يد قوية ••• »(٢٦) ، وكان حريصا في المحافظة على اسرار واوامر الخليفة وبسرية وثقة كبيرة •

وهكذا تهيأ للعراق رجلين من رجاله الامناء الخيرين الذين واجهوا السلاجقة رغم الظروف الصعبة والقاسية التي كانت تمر بها الخلافة ، ويروى

أن ابن هبيرة قال للخليفة : « تطاول علينا مسعود بن محمد السلجوقي ، فعزم المقتفي ان يحاربه ... »(٢٧) .

وقد أتخذ الخليفة المقتفي عدة اجراءات لتقوية الجيش ، وحفر الخنادق، وان يستعد الناس للطواريء ، وامر بأصلاح سور بغداد(٢٨) .

وكانت بداية تحدي الخليفة للسلاجقة ممثلا في قيام السلطان السلجوقي لعمل دارا لضرب النقود في بغداد ، فأمر الخليفة بالقبض على الضراب ، وقابله مسعود السلجوقي بسجن حاجب الخليفة ، تأمر الخليفة باغلاق المساجد ثلاثة ايام الى ان أطلق سراح الحاجب(٢٩) وهذا تصرف ذكي من الخليفة عندما لجأ الى الشعب في مجابهة السلاجقة الذين اضطروا الى الاذعان لامر الخليفة ، وقد بلغ استبداد السلاجقة بالخلافة حدا انهم فرضوا حصارا حول بغداد ، مطالبين الخليفة بمبلغ (٣٠ر٠٠٠) دينار ، حتى يرفعوا عنها الحصار ، وقد اشار الخليفة المقتفي على وزرائه وجوب دفع المبلغ ، فاعترض ابن هبيرة مشيرا عليه ضرورة توظيف هذا المبلغ من اجل انشاء جيش يتمكن من دفع خطرهم(٣٠) واحتدم الصراع بين الجانبين ، وكان جميع سكان بغداد يقاتلون بما في ذلك الصبيان الذين كانوا يقاتلون بالميازر الصوف والمقاليع(٣١) ، واثمرت هذه الجهود بتحقيق انتصار عراقي على السلاجقة هو الاول من نوعه وذلك سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وقد كافأ الخليفة ابن هبيرة بان رقاه الى درجة وزير بعد ان كان صاحبا للديوان(٣٢) وقد اعاد السلاجقة الكرة ثانية وفرضوا حصارا حول بغداد سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م غير ان هذا الحصار فشل ايضا(٣٣) .

وادت هذه الاحداث المتسارعة الى اثارة مخاوف السلاجقة ، وهيبتهم للخليفة المقتفي ، والذي قال عنه مسعود السلجوقي : « ... لقد اجلسنا في الخلافة رجلا عظيما فالله تعالى يكفينا شره ... »(٣٤) وهاجم السلاجقة

مدينة الحلة فجهز المقتفي ووزيره ابن هبيرة جيشا كبيرا ، وتمكنا من طرد السلاجقة منها(٣٥) الذين اتجهت فلولهم الى مدينة واسط ، وكانت قوات الخلافة تطاردهم فاخرجتهم منها(٣٦) وعادت قوات الخلافة المنتصرة الى بغداد، واقيمت احتفالات بهذا الانتصار ، الذي ادى الى حدوث انقسامات بين السلاجقة وخاصة بعد وفاة السلطان مسعود السلجوقي ، والذي قال الخليفة عند وفاته : « لاصبر على الضيم بعد اليوم ولا قوام مع هول هؤلاء القوم »(٣٧) ، وامر الخليفة طرد الشحنة السلجوقي من بغداد ، وصادر داره ودور اصحابه واخذ كل مالهم فيها(٣٨) .

واراد الخليفة معالجة وضع السلاجقة في مدينة تكريت التي جعل السلاجقة من قلعتها الحصينة معقلا مهما فارسل قوات كبيرة سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م بقيادة وزيره ابن هبيرة ، وكانت القوات السلجوقية بقيادة مسعود بلال السلجوقي(٣٩) ، وتوجه الخليفة فيما بعد على رأس جيش وحاصر السلاجقة في تكريت وحدثت معارك كبيرة بين الجانبين فيما وراء السور(٤٠) واضطر الخليفة رفع الحصار عنها ، والاتجاه نحو واسط ، لدفع الخطر السلجوقي بقيادة ملك شاه ، وتمكن من تحريرها والعودة الى بغداد(٤١) .

وكانت القوات السلجوقية في مدينة تكريت قد اسرت عددا من افراد قوات الخلافة من ابرزهم ابن وزير الخليفة وبعث الخليفة رسولا الى السلاجقة للتفاوض معهم ، غير انهم غدروا بالرسول وسجنوه(٤٢) ، فارسل الخليفة قوة الى تكريت تمكنت بعد قتال عنيف من اقتحام المدينة ، فهرب مسعود بلال وبقية السلاجقة الى قلعتها الحصينة ، ونصب المجانيق على القلعة ، ورفع من سورها عدة ابراج(٤٣) وجهز الخليفة جيشا اخر لمهاجمة قلعة تكريت ، وهيأت كل ألالات والوسائل الخاصة بفتح القلاع ، وبعد دخول المدينة عرض الجند فكانوا ستة الاف فارس فنزلوا الى القلعة(٤٤) ، ورغم هذه

القوة الكبيرة الا ان الخليفة اضطر الى سحب قوات الخلافة بسبب تعرض مدينة شهربان لغزو سلجوقي جديد ، غير ان سياسة الخلافة اثمرت فيما بعد تجاه مدينة تكريت ، التي حررت من السيطرة السلجوقية ، وتم اطلاق سراح الاسرى وبينهم ابو البدر بن الوزير وذلك سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م(٤٥) واستقبل في بغداد : « وكان يوما مشهودا ، بعد ان مكث ثلاث سنوات في السجن »(٤٦) .

وعاد السلاجقة مرة اخرى لمهاجمة مدينة واسط ، فاتجه الوزير على رأس قوة كبيرة وطرد السلاجقة عنها : « وشرفه الخليفة بقميص وعمامة ولقبه سلطان العراق ، ملك الجيوش »(٤٧) .

وتم تحرير منطقة العراق من السيطرة السلجوقية ، وزارها الخليفة ايضا(٤٨) ، وقاد الخليفة المقتفي جيشاً الى مدينة داقوق سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م(٤٩) ، وجهز جيشا الى بلد اللحف ، وتمكن من فتحه وضمه الى العراق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م(٥٠) .

وتمكنت قوات الخلافة من اعادة سيطرتها على مدينتي الكوفة والحلة ، سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م وقد حاول عدد من الخونة والعملاء سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، بالتعاون مع السلاجقة من السيطرة على الحلة ، غير ان قوات الخلافة اعادت سيطرتها على المدينة ، والقي القبض على عدد من العملاء ، وتم اعدامهم مع امراؤهم(٥١)، وبذلك تم تحرير الحلة بصورة نهائية من السيطرة السلجوقية اضافة الى مدينتي كربلاء ، والكوفة ، وقد زار الخليفة المقتفي مدينة كربلاء سنة ٥٥٣ هـ ، وزار قبر الحسين بن علي (رضي الله عنهما)(٥٢).

غير ان السلاجقة أخذوا يجمعون قواتهم من كل حدب وصوب في المشرق وخاصة في مدينة همدان واتجهوا بها نحو العراق ، وقد وصف المؤرخ الحسيني هذا الجيش الكبير بقوله : « ... وصاروا في عساكر تموج بهم

ويستر الغبار وجه السماء ••• »(٥٣) فاجتازوا الحدود الشرقية للعراق وسيطروا على طريق خراسان الذي يربط بغداد بالاقاليم الشرقية ، وتصدت لهم قوات الخلافة التي اضطرت الى الانسحاب المنظم الى بغداد ، وقرر الخليفة والعراقيون الدفاع عن بغداد ، وترجلوا الارض ، ورفع الخليفة الطراحة من راسه وهو ينادي : « يا آل مضر ، وفي رواية ــ يا ال هاشم ــ : كذب الشيطان » ، وتلى قوله تعالى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا »(٥٤) ، وصمدت قوات الخلافة وقاتلت بشجاعة نادرة ، ووصلت نجدات عراقية من البصرة ، والحلة ، وواسط ، والغراف ، والبطائح ، وبقية المدن(٥٥) ودارت معارك عنيفة ، وقاتل العراقيون ببسالة نادرة انتهت بهزيمة القوات السلجوقية وغنمت منهم غنائم كثيرة جدا ، حتى : « بيع كل كبش بدانق »(٥٦) وكشف المقتفي عن خلقه وخلق العراقين الانساني الرفيع عندما امر باطلاق سراح الاسرى من النساء والاطفال لان الغزاة كانوا قد حضروا بنسائهم واولادهم ، وجميع مالهم ، فأخذ جميعه ، وامر منادي الخليفة بالنداء : « من أخذ من اولاد التركمان ونسائهم شيئا فليرده ، فردوه ••• »(٥٧) ، ويعلق المؤرخ الحسيني على هذا الانتصار العراقي بقوله : « وخلص العراق من خبث وفساد مسعود السلجوقي ••• »(٥٨) ، وطاردت قوات الخلافة السلاجقة في عمق الاراضي الايرانية في المشرق •

واخذ الخليفة المقتفي يعمل من اجل زرع بذور الخلاف بين السلاجقة انفسهم ، في الوقت الذي كان حشد الطاقات والهمم لكل العراقين ، وقد وجه دعوة لاحد رجال السلاجقة الذين حاول ان يضرب بهم السلاجقة وهو سليمان السلجوقي ، وعند زيارته لبغداد لم يحتفل به ، قال الذهبي : « ••• ولم يحتفل لمجيئه لتمكن الخليفة وقوة دولته وكثرة جيوشه وهيبته ••• »(٥٩) •

غير ان روح العداء السلجوقي للخلافة كانت متاصلة ولم يتعضوا بما

لحق بهم من هزيمة منكرة في السابق ، ولذلك جمعوا قــوات كبيرة بقيادة مسعود بلال السلجوقي ، واجتازوا حدود العراق ، واحتلوا مدينة بعقوبة(٦٠)، وواصلوا غزوهم ، وفرضوا حصارا على الجانب الشرقي من بغداد ، وقد هاجم اهل الكرخ،واهل باب البصرة العسكر السلجوقي ونهبوا منه اموالا كثيرة(٦١) واستعد سكان بغداد للحصار ، ويصف ابن الجوزي هذه الاستعدادات بقوله: « ولبس الناس السلاح فاخرج الخليفة سبعة الاف جوشن ففرقها ، ونصب المجانيق ، والعرادات ، واقام اربعين شقاما يعملون الخشــب لعمــل التراس والمجانيق والعرادات ، فكانت مائتي وسبعين عرادة ومنجنيق في كــل عرادة اربعين رجلا(٦٢) وكان صبيان بغداد يعبرون على السلاجقة ، ويضربونهـم بالمقاليع ، وتمكن احد الاطفال من قتل احد قادة السلاجقة وكان الحصــار شديدا وتأزمت الاوضاع الاقتصادية ، ويقول ابن الجوزي : « وتعذر على بغداد الشوك والتبن والعلف ، فبيع الشوك كل باقة بحبة ، ورأس الغنم بسبعة دنانير »(٦٣) ، غير انالوزير كان يوزع الغلات على الجنود بدلا من النقود ، فيبيعونها على السكان ، مما خفف من الازمة(٦٤) ، وكانت القيادة العباسية تكرم وتشجع الرجال الذين يقاتلون ببطولة(٦٥) ، اقتحمت قوات الخلافــة الجيش السلجوقي ، والذين كانوا يعانون من وضع اقتصادي سيء(٦٦) وكان الخليفة المقتفي يراسل امراء الاطراف طالبا منهم النجدة ، الامر الذي ادى الى انسحاب السلاجقة في شهر ربيع لاول سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م بعد ان كانوا محاصرين لبغداد منذ ذي الحجة سنة ٥٥١ هـ(٦٧) واثناء انسحابهـم نهبوا مدينة بعقوبة وغيرها من القرى الواقعة على طريق خراسان(٦٨) ٠

وقد علق المؤرخ الحسيني على هذا الصمود والانتصار العباسي بقوله : « ٠٠٠ وانقطعت بعد ذلك اطماع السلاطين السلجوقية عن بغــداد »(٦٩) ، ويقول الراوندي : « واصبحت بغداد ، وقد اتاها الله بالفرج ، ونصر الحق ، وحق النصر ٠٠٠ وعرفت الاعاجم انه لا مطمع بعدها في بغداد »(٧٠) ، وقد

اقيمت الاحتفالات في بغداد وكان المؤرخ الراوندي شاهد عيان لتلك الاحتفالات بقوله : « وكنت حينئذ ببغداد ، وجرت قصائد في هناء الامام ... »(٧١) .

ويعتبر هذا الانتصار على السلاجقة نهاية المطاف في علاقاتهم مع العباسيين ، ونهاية لاحلامهم واطماعهم التوسعية في العراق ، وقد شجع هذا الوضع الخليفة على مواصلة نضاله ضد السلاجقة حتى خارج العراق ، بل وفي عقر دارهم في داخل الاراضي الايرانية ، وذلك عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م عند محاولتهم الافساد في منطقة الجبل ، فارسل الخليفة جيشا كبيرا انتصر عليهم واسر بعضهم ، وحملت الرؤوس والاسرى الى بغداد(٧٢) ، وفي عام ٥٥٤ هـ ارسل الخليفة المقتفي جيشا لتأديب سنقر الهمداني ومن معه فلاذ سنقر بالجبال هاربا(٧٣) .

واعيدت الخطبة في بغداد والعراق للخليفة العباسي وحده ، ولاول مرة منذ سيطرة المتغلبين والطامعين على العراق(٧٤) .

اضافة الى ذلك فان الخليفة المقتفي عالج المشاكل الاقتصادية التي كان العراق يعاني منها في بعض الاوقات وكانت الخلافة تسعى جاهدة لمعالجة تلك الازمات ، فعلى اثر ارتفاع الاسعار ، وغلاؤها في العراق عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م اتخذ الخليفة عدة اجراءات ادت الى رخص الاسعار في العراق ، وكثرت الخيرات وخرج اهل السواد الى قراهم(٧٥) ، وكان الخليفة قد اطلق للفقراء مالا كثيرا(٧٦) ،وانفق وزيره ابن هبيرة خمسة الاف دينار بعضها للصدقة وبعضها في قضاء ديون اهل الحبوس وغيرهم(٧٧) ، وعندما مرض الخليفة في عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م فرقت الصدقات وذبح كل واحد من ارباب الدولة البقر وفرقت الكسوة على الفقراء(٧٨) ، وفي عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م انفق الوزير ابن هبيرة ثلاثة الاف دينارا على موائد الافطار طوال شهر رمضان ،

وخلع على المفطرين الخلع السنية(٧٩) .

وكان للزيارات التفقدية التي كان الخليفة المقتفي يقوم بها في مدن العراق كان لها دورا مهما وبارزا في خلق الامن والاستقرار ، والازدهار الاقتصادي، ففي عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م قام بزيارة تفقدية لمشروع قناة الدجيل(٨٠) ، وفي سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م / و ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م قام الخليفة بزيارة لمدينة الانبار ، وتجول في اسواقها ، ودروبها ، متفقدا لاحوالها ، ومطمئنا على وضع الناس فيها(٨١) ، وقام بزيارة لمدينة كربلاء ، وادى مراسم الزيارة لقبر الحسين ابن علي رضي الله عنهما(٨٢) وفي سنتي ٥٥٣ هـ/١١٥٨ م و ٥٥٤ هـ/١١٥٩ م قام بزيارة مدينة واسط . وتفقد اسواقها ومعالمها(٨٣) ، وفي عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م قام بزيارة مدينة هيت ، وكذلك منطقة الغراف(٨٥) .

وبذلك اعاد الخليفة المقتفي لامر الله لبغداد مكانتها وسيادتها وللخلافة هيبتها وكرامتها وباعتماده على وزيره ابن هبيرة الشيباني الذي كان من الرجال الافذاذ في تاريخ العراق ، وكان لدورهما المتميز اثر حميد في اضعاف وانحسار النفوذ السلجوقي في العراق وظهور فترة الانتعاش السياسي والاقتصادي للعراق في هذه الحقبة من تاريخه .

حواشي البحث :

(١) البنداري ، محمد بن محمد بن حامد ، تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ١٠ ـ ١١ .

(٢) انظر ، د . حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ٤٠ ـ ٧٨ ، والدكتور رشيد الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي (بغداد ، ١٩٨٠) ٤٨ ، ٥٤ .

(٣) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٦٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، (الهند، ١٣٥٨ هـ) .

(٤) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/٦٣ ، ٧٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥ ، ج٩/٢٦ ، ٣٨ ، ٧٧ ، ج١٠/٢٤٩ .

(٥) نفسه ، ٨ / ١٧٩ ، ٢٧٣ ، و ج ٩ / ١٤٦ ، و ج ١٠ / ١٣٤ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، (بيروت ، ١٩٦٥) حوادث سنوات ، ٤٤٨ هـ ، و ٤٩٣ هـ ، و٥٠٢ هـ ، و٥١٧ هـ ، و٥١٨ هـ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ (بيروت ، ١٩٦٦) ص ١٦٥ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨/١٧٠ ، ٢٣٢ ، ج٩/١٤ ، ٢٧ ، ١١٣ ، ٢٤٩ ، و ج١٠/١٣٨ ، وابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٥٤٥ هـ ، ٥٧٤ هـ .

(٧) ابن الجوزي المنتظم ، ٨/٢٢٥ ، ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ج١٠/١٨٩ ، ٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ابن الاثير ،الكامل ، حوادث سنة ٤٧٢ هـ،٤٩٦ هـ ، ٥٠٢هـ ، ٥٤٦ هـ ، ٥٥٤ هـ ، ٥٥٧ هـ ، ٥٦٩ هـ .

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ٩/١١٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٥١٢ هـ ، ٥١٨ هـ ، ٥٤٣ هـ .

(٩) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ٢١٤ .

(١٠) لقب بالدوري لانه ولد في قرية الدور من اعمال الدجيل فنسب اليها (القزويني ، اثار البلاد) (بيروت ، ١٩٦٠) ٣٦٧ .

(١١) ابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق د. قاسم السامرائي (لايدن ١٩٧٣) ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ـ ٢١٢ ، الذهبي ، دول الاسلام ، (حيدر اباد ، ١٣٦٤ ـ ١٣٦٥) ج٢/٣٩ ـ ٤٠ .

(١٢) ابن العمراني ، الانباء ، ٢١٣ ، ٢١٥ .

(١٣) نفس المصدر ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ٢/٤٣ ، ٤٤ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (بيروت ، بدون تاريخ) ج٢/٥٣ .

(١٤) ابن العمراني ، الانباء ، ٢١٧ .

(١٥) نفس المصدر ، ٢٢١ .

(١٦) الذهبي ، العبر في خبر من عبر (الكويت ، ١٩٦١) ٢/٨١ .

(١٧) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ٢١٥ .

(١٨) الديار بكري ، تاريخ الخميس (القاهرة ، ١٢٨٣) ج٢/٤٥ .

(١٩) عبدالملك العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي (القاهـرة ، ١٣٨٠) ج ١٢ / ٣٧٣ .

(٢٠) ابن الوردي ، تأريخ ابن الوردي (النجف ، ١٩٦٩) ج٢/٨٩ .

(٢١) نظمي زاده افندي ، كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس (النجف ، ١٩٧١) ١٧ .

(٢٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ٢٧٦ .

(٢٣) ابن دحية الكلبي ، النبراس في تاريخ بني العباس (بغداد ، ١٩٤٦) ١٥٧.

(٢٤) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ٢٠٣ .

(٢٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠/١٣٧ .

(٢٦) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٠ .

(٢٧) القزويني ، اثار البلاد ، ٣٦٧ .

(٢٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠/١٣٣ .

(٢٩) نفسه ، ١١/١١٩ .

(٣٠) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٠٣

(٣١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١١/١٣٢ .

(٣٢) الحسيني (علي بن الحسن) ، اخبار الدولة السلجوقية (لاهـور ، ١٩٣٣) ٢٠١ ـ ١٢١ .

(٣٣) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٠/١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٣٤) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٠ .

(٣٥) ابن الجوزي ، المنتظم ١١/١٤٨ .

(٣٦) نفسه ، ١١/١٤٨ .

(٣٧) البنداري ، المصدر السابق ، ٢١٤ .

(٣٨) المقريزي ، السلوك ، (القاهرة ، ١٩٣٤) ١/٣٨ .

(٣٩) راجع ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ (بيروت ، ١٩٦٥) ١٨٩/١١ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق . الحسيني ، المصدر السابق ، ١٢٩ ، البنداري المصدر السابق ٢١٤ — ٢١٥ .

(٤٠) ابن الاثير ، الكامل ١٨٩/١١ .
(٤١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٥٢/١٠ — ١٥٣ .
(٤٢) نفسه ، ١٥٣/١٠ .
(٤٣) نفسه ، ١٥٦/١٠ .
(٤٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ٢١٦/١١ .
(٤٥) نفسه ، ٢١٦/١١ .
(٤٦) نفسه ، ٢١٦/١١ .
(٤٧) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٥٧/١٠ .
(٤٨) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٦٦ .
(٤٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، (بيروت ، ١٩٦٦) ٢٣٢/١٢ .
(٥٠) نفسه ٢٣٢/١٢ .
(٥١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٢/١١ ، ٢١٣ .
(٥٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٨١/١٠ .
(٥٣) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣١ .
(٥٤) ابن الكازوروني ، مختصر التاريخ ، تحقيق د . مصطفى جواد (بغداد ، ١٩٧٠) ٢٣٠ .

(٥٥) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣١ .
(٥٦) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٩٥/١١ .
(٥٧) نفسه ١٩٥/١١ .
(٥٨) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣٣ .
(٥٩) الذهبي ، العبر ، ١٤٢ .
(٦٠) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٥٨/١٠ .
(٦١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٣/١١ .
(٦٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٦٩/١٠ — ١٧٠ .
(٦٣) نفسه ، ١٧١/١٠ .
(٦٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ٢١٤/١١ .
(٦٥) نفسه ٢١٤/١١ .
(٦٦) البنداري ،المصدر السابق ٢٣٢—٢٣٣ ،ابن الاثير ،المصدر نفسه ٢١٣/١١ .
(٦٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢١٢/١١ ، ٢١٥ .
(٦٨) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٤٠ .
(٦٩) نفسه ، ١٤٠ .

(٧٠) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٣٣ .
(٧١) نفســه ، ٢٣٣ .
(٧٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ٢٣٩/١١ .
(٧٣) نفســه ٢٤٩/١١ .
(٧٤) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة ، بدون تاريــخ) ٣٨/٢ .
(٧٥) ان الاثير ، المصدر السابق ١٢٦/١١ .
(٧٦) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٧٦/١٠ .
(٧٧) نفســه ١٨١/١٠ .
(٧٨) نفســه ١٨٩/١٠ .
(٧٩) نفســه ١٧٧/١٠ .
(٨٠) نفســه ١٦٥/١٠ .
(٨١) نفسه ١٦٥/١٠ ، ١٨١ .
(٨٢) نفســه ١٨١/١٠ .
(٨٣) نفسه ١٨١/١٠ ، ١٨٩ .
(٨٤) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٦٥ .
(٨٥) نفسه ، ٢٦٧ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٨٩/١٠ .